الصفحات: من 447 إلى 456

الأمير عبد القادر و معالم ميتافيزيقا الفلسفة اليونانية:

بن أحمد إيمان
جامعة تلمسان

تاريخ الاستقبال: 2017/04/04 - تاريخ المراجعة: 2017/05/22 تاريخ النشر: 2017/06/25

ملخص بلغة العربية :

يعد أمير عبد القادر تلك الشخصية التي لمع نجمها في سماء المغرب العربي عامة ، و العالم الإسلامي على وجه الخصوص من خلال جهاده ، تصوفه و شعره أيضا ، فهو حقا شخصية يستحق التاريخ افتخار به ، وهذا راجع طبعا إلى شغفه و حبه الكبير لقراءة كتب الأوائل من الفلسفة اليونانية و التي ينبه على فضلها على باقي العلوم ، فهي منبع الفلسفات و العلوم ، و من خلالها تم التفتح الحضاري ، وذلك من خلال تقدسيها لأهمية العقل كأصل كل معرفة ، هذا ما تبناه الأمير ودليل على قوة شخصيته التي ترفض التقليد و الإنقياد ، ولا تتبنى أي فكر ولا تنخرط في أي عمل إلا بعد دراسته وهضمه هضما مؤسسا على اقتناع ذاتي مبني على العقل والبرهان وهذا ما نلمسه في منهجه التأملي الذي يسعى إلى كشف الحقائق الوجودية .

ملخص بلغة انجليزية :

El Amir Abd-el-Kader is considered as a shining personality in Arabic Maghreb generally 'and the Islamic world specifically through his strive 'Sufism and poetry .He is really a personality in which the history boasts of him due to his passion and his great affinity to read the early books from the Greek philosophy which has a virtue over the science .It is the source of philosophies and sciences 'and the civilization happened through it by the sanctification of the importance of mind as an origin of knowledge .This is what El Amir adopted 'and it is a proof that he is a person who refused the imitation and the subordination .He did not adopt any thought and he did not engage in any work before he studied it and made a scrutiny based on his personnel conviction 'established on his mind and arguments 'and this is what we find

in his theoretical approach which seeks to reveal the existential facts.

– الكلمات المفتاحية :

الميتافيزيقا – اليونان– النفس–العقل.

مقدمة :

مما لا شك فيه ان الأمير عبد القادر الجزائري يعد احد معالم الفكر الفلسفي و الصوفي على الوجه الخصوص ، فهو يعد شخصية عظيمة اجتمعت فيها الكثير من المآثر في زمن من الدهر ، فهو الضوء اللامع المتألق يشق الظلمات ويبذر بذور الحرية و العدل في أرضه ، مناضلا بنزعته البطولية و الحماسية ، و هذا ليس بالغريب عنه ، فهو لم يكتفي بالجهاد العسكري و الحربي فقط بل كان ذو ثقافة و علم و هذا راجع طبعا إلى تكوينه و تربيته الثقافية و الروحية ، الذي استند عليهما كسبيل وحيد للتحرر.

فحبه للعلم و غزارة فكره جعلت منه ينفر التبعية متطلعا إلى أسلوب جديد من الحياة يكون من خلال ازدواجية الجانب النظري بالتطبيق العملي ، هذا ما دفع به إلى التطلع و البحث في الوجود ، من خلال شغفه إلى قراءة و مطالعة كتب الفلسفة اليونانية ، مادام أنه لا تخلوا حضارة أو مرحلة فلسفية بدون الرجوع إلى الجوهر اليوناني الذي يهدف إلى البحث عن أصل الوجود و بلوغ الحقيقة ، و من هنا كانت انطلاقة الأمير من خلال التأمل في الوجود مبينا أهمية العقل البشري في إدراكه للحقائق الكامنة ، و منبها على فضل حكماء اليونان في محاولة البحث عن الحقيقة الوجودية ، هذا ما أدى بنا إلى طرح إشكالية المتمركزة حوله و التي مفادها:ما هي أهم المعالم التي استمد منها الأمير عبد القادر أفكاره؟ و فيم تكمن تجربته الميتافيزيقية ؟ و ما هي علاقتها و تجلياتها على الفلسفة اليونانية ؟.

وقد أتبعنا في سبيل ما سعينا إليه منهجا تحليليا من اجل الإلمام بجوانب المشكلة و الإجابة عنها تدريجيا من خلال كل عنصر من عناصر بحثنا هذا ،الذي قمنا من خلاله بتحليل أهم المعالم الميتافيزيقيةفي فلسفة الأمير عبد القادر الجزائري، كما أن طبيعة الموضوع و الإشكالية كذلك هي التي تفرض المنهج الملائم لمعالجته، ذلك أن طبيعة الموضوع فرضت علينا أن نعتمد على المنهج التاريخي من خلال تتبع المسار التاريخي للأحداث التي مر بها الأمير عبد القادر من خلال مطالعته للفلسفة اليونانيةو تاثره الشديد بها.

– المنابع الميتافيزيقية للفلسفة الأميرية :

يعدالأمير عبد القادر ذو ثقافة واسعة في مختلف العلوم و الآداب ، فقد تثقف بثقافات دينية و إنسانية متنوعة(بخضرة ،م ،2009 :97)، وهذا ناتج عن شخصيته العظيمة التي امتازت بصفات متعددة و في جوانب مختلفة لفتت إليها الأنظار و استقطبت من حولها الرجال فملأت الدنيا و شغلت الناس.

ومن المعروف عنه كذلك انه لم يحرم نفسه من العلوم الأخرى ، فكان يقرأ كل ما تصل إليه يده من كتب العلم و الفلسفة ، كأعمال فيثاغورس و أرسطو و غيرها من المتون التي استهوته.(نزار،أ ،1994: 26).

وهذا دليل على أنه كان شديد التأثر بالفلسفة اليونانية ، ويتضح لنا ذلك في تأكيده بأن اليونانيون أمة عظيمة القدر ، وهم منسوبون إلى اليونان ، وبلاد هم روم هإيلي ، وأنا طولي وقرمان، وإخوانهم اللطينية ، مساكنهم بالقرب منهم ، ومن اليونان إسكندر الذي قهر ملوك و غلبهم ، يقال أنه استولى على خمسة و ثلاثين ملكا ، ومن حكماء اليونان المشهورين أيضا ، أرسطو وهو معلم الإسكندر ، وكان مسكنه مدينه أثينا ، وهو كبير حكماء الخليقة من غير منازع ، أخذ عن أفلاطون اليوناني وكان يعلم الحكة وهو ماش تحت الرواق المظلل له من حر الشمس فسمي تلاميذه بالمشائيين ، وأخذ أفلاطون عن سقراط ويعرف بسقراط الدن بسكناه في دن ، من الطين اتخذه و قتله قومه لما نهاهم عن عبادة الأوثان ، وكان هو قد أخذ الحكمة من فيثاغورس منهم ، ويقال أن فيثاغورس أخذ عن طاليس حكيم ملطية ، وأخذ طاليس عن لقمان الحكيم المشهور ، ومن حكماء اليونان أيضا ديمقريطس و أنكساغورس (طالبي ، ع ،2005 :109).

كما يشير الأمير عبد القادر أيضا إلى أصل تسمية اليونان مؤكدا على أن علماء اليونان يسمون فلاسفة الهيين (ومعنى فلا بلغتهم الحب وسوف : العلم ، يعنى فيلسوف : محب العلم)، وهو أرفع الناس منزلة لما ظهر منهم من الإعتناء الصحيح بفنون الحكمة ، من العلوم الرياضية و المنطقية و المعارف الطبيعية ، وجميع العلوم العقلية مأخوذةعنهم ، وهم الذين أسسوها ، كما أن لغة الأقدمين من اليونان تسمى اللطيني ، لأن اليونان فرقتان اللطينيون و الإغريقيون .

وعلى هذا الأساس فإن الأمير لم يكتفي بمحيط تعريف اليونان و ذكر مزاياهم، بل تطرق أيضا إلى بعض حكماء اليونان منها قضية الروح على سبيل المثال، وفي هذا الشأن يوضح على أنه قد اتفق اليهود و النصارى و المسلمين على أن الروح حادثة ،إذ لا قديم عندهم إلا اللّه وصفاته عند من أثبتها زائدة على الذات ، أما الحكماء فقد اختلفوا في ذلك منهم أفلاطون الذي رأى أنها قديمة لأن الحادث لا يكون أبديا ولا عن المحل غنيا، فلو لم تكن الروح أزلية لم تكن أبدية والجواب المنع.

وقال أرسطو أيضا أنها حادثة لوجوه، منها أنها قبل التعلق تكون معطلة ولا معطل في الوجود بخلاف ما بعد المفارقة، فإنها في الروح و الريحان أو عذاب و نيران.(عبد القادر،أ،133:1989).

وتبعا لها يمكن الإشارة في هذا الصدد إلى النفس عند حكماء اليونان، ونخص بالذكر أفلاطون و أرسطو: فببادئ الأمر قد تطرق لها أفلاطون : على أنها جوهر بسيط غير مركب قديمة أزلية خالدة لاتفنى ولا تتغير لأنها تحيى في العالم المثل ، وأنها مبدأ الحركة في الجسم(أبو ريان، م ،1999:123)، موضحا ذلك أن النفس الإنسان لها وجود متقدم على البدن في العالم المثل وهي تحيط علما بكل ما يجانسها في هذا العالم .وعلى هذا الأساس قد جعل أفلاطون من النفس عالما خياليا ، تخيل فيه النفس وهي تعيش في العالم الخاص اختار له مسمى» عالم المثل»، وهو عالم سام شريف عاشت فيه النفس قبل أن تهبط للأرض وتلحق بالبدن ، ولا سبيل للرقي النفس إلا بالمعرفة وهو يؤمن بعقيدة تناسخ فيقرر أن النفس تظل في دورة تناسخية حسب صلاحها من عدمه ، فالنفس

الصالحة تعود غلى العالم المثل لتعيش حياة إلهية بينما النفوس الغير الصالحة تعود ثانية في صورة أقل من صورتها وإن أصبحت صالحة فيما بعد انتقلت إلى الحياة الإلهية(النشار، م،1997:129).

ومصدر إلهامه بالتناسخ الأرواح راجع إلى فيثاغورس، بمعنى أن النفس البشرية استلهمت القدرة من العقل الإلهي تغلبت على عجز المادة و الجسد وصعدت إلى معدنها الأول ، فخلصت غلى عالم البقاء الذي لايشوبه الفساد ولكنها إذ رزخت بثقل المادة و استسلمت لعجزها ونسيت قدرتها على مكافحتها هبطت من جسد إلى جسد أحقر منه و أدنى.

فكانت في الجسم الحيوان بعد أن كانت في جسم الإنسان وإن حدرت من حيوان كريم إلى حشرة لئيمة، حتى تفيق من غشيتها و تستأنف في العالم العقل المجرد سيرتها الأولى(محمود عقاد ، عباس،1970:158).

ومنها نجمل القول عن النفس عند أفلاطون على أنها كانت واحدة قبل هبوطها من العالم المثل إلى هذه الدنيا ولكن اتصالها بالبدن شوه طبيعتها و مسخها و دعا إلى تطرق الكثرةإليها، ومن ثمة فإذا أصبحت النفس بسبب حلولها في احد الأجساد وسط بين العالم الملأ الأعلى وبين العالم الحسن ، وجب إذ أن تنقسم إلى ثلاثة النفوس تقوم كل واحدة بذاتها، بحيث تكون إحداها وسيلة للاتصال بعالم العقل و أخرىللاتصال بعالم الحس و الثالثة كرباط بين هذين الوجهين، وهي النفس الشهوانية و النفس الغضبية و النفس العاقلة بمعنى أن العقل مركزه الرأس و الغضب مكانه القلب و الشهوة موطنها البطن(بن سعيد باخضر ، ح،1998:102).وهذا ما أكده بقراط وجالينيوسأيضا.

أما أرسطو اعتبر أن النفس المبدأ الحيوي التام لأي جسم حي ، ومجموع قواه و تفاعله(ديورانت،و،1986:116)، وقد عرفها بأنها كمال أول لجسم طبيعي الآلي ذا حياة بالقوة(حمود ،ك،1990:50)، ولكن هذا التعريف لا يكتمل إلا ببيان أنواع النفوس عنده، و أبسطها هي النفس الغاذية التي توجد في جميع الأحياء من النبات و الحيوان و الإنسان، ثم تليها النفس الحاسة التي لاتوجد في النبات وتوجد في الحيوان و الإنسان وتشمل على الذوق و الشم و السمع و البصر و الشعور باللذة و الألم و الرغبة و النزوع و التخيل و التذكر.وأرقى أنواع النفوس هي النفس العاقلة التي توجد في الإنسان فقط، ومعنى هذا أن الإنسان به أنواع ثلاثة : النفس العاقلة و الحاسة و الغاذية(هويدي،ي،1996:38).

وتنفرد هذه النفس بامتلاكها العقل و التفكير ، فالعقل باستطاعته إدراك ماهيات الأشياء و خواصها التي لا تتغير ، وبالتالي فالنفس العاقلة التي يتميز بها الإنسان أسمى و أكمل الصور التي يمكن نسبتها إلى جسم الطبيعي الذي توجد فيه الحياة بالقوة(إبراهيم ، ح، نظرية النفس بين أرسطو وابن سينا–مجلة جامعة دمشق،المجلد 19،العدد2،سنة2003:ص204).

وفي ذات السياق يشير الأمير على انه قد احتجوا على تعددها ذلك أن النفس الشهوانية حاصلة في النبات دون النفس الغضبية و هذه الأخيرة حاصلة في الحيوان بدون النفس النطقية ، ولكن لما تتضح له هذه الرؤية

يرى أن هذه الثلاثة حاصلة في الإنسان ، فعلم أن كلا من هذه الثلاثة جواهر مستقل بنفسه ، و الجواب ثبت في أصول المعقولات أن الماهيات المختلفة يجوز اشتراكهما في آثار متساوية ، وإذا ثبت هذا يمكن القول أنه من الجائز أن تكون النفس الإنسانية متساوية للنفس البهيمية في فعل الغضب، وإن كانتا مختلفتين في الماهية ومن الجائز أن تكون النفس الإنسانية متساوية للنفس النباتية في أفعال التغذي و النمو، وعلى هذا يكون جوهر النفس الإنسانية واحدا بالذات إلا أنها مبدأ الأفعال الثلاثة : النطق و الذي يشاركها فيه سائر النفوس ن والغضب ويشاركها فيه البهيمة ، والشهوة و يشاركها فيه البهائم و النبات ، وعليه فالحق واحدة النفس الناطقة وهي تستعمل النفس الحيوانية، والنفس الحيوانية تستعمل الأعضاء ، وعليه فقد ثبت أن الروح الحيواني يستعمل أعضاء البدن.(عبد القادر، أ،1989:132).

وفي هذا الشأن يشير الأمير عبد القادر إلى اختلاف المتقدمون و المتأخرون في محل تعلقها الأول وهو القلب، أما رأيبقراط و جالينيوس فإن محل تعلقها الأول هو الدماغ ، وهنا يوضح الأمير بأن دليل الطائفة الأولى يثبت أن المني إذا وقع في الرحم صار كالكرة حيث تجتمع فيه الأجزاء الهوائية و النارية فتصير و تصبح مادة الأرواح ، وتجتمع الأجزاء المائية و الأرضية و تحيط بتلك الكرة لتكون صوانا لها و المانع من التحلل ، وذلك الموضع المتوسط الذي اجتمعت فيه تلك الأجزاء الطبيعية الذي إذا تمت خلقته كان قلبا ، فبهذا الطريق عرفنا أن أول عضو يتكون هو القلب و بالتالي هو المتعلق الأول للنفس و الذي بواسطته يسري أثرها إلى سائر الأعضاء .

وصحة ذلك يوضحها الأمير أنها تكمن في هذه الأدلة:

–الدليل الأول : أن العقلاء يجدون العلم و الفهم و الإدراك في ناحية القلب محل العلم، فعلمنا أن القلب محل العلم ، وهنا إشارة إلى قول جالينيوس في هذا الصدد قائلا :« مسلم أن القلب محل للغضب فإما أنه محل العلم فممنوع ،وجوابه أن الغضب دفع المنافي ، ودافع المنافي له شعور بكونه منافيا، فوجب أن يكون القلب محل الشعورفي العلم».

–والدليل الثاني: أن النفس هي الحاسة المتحركة بالإرادة، فإذا تعلقت بالقلب لابد من أن تفيدهبهما ، فيكون بذلك القلب منبعا للحس و الحركة الإرادية.

أما الدليل الثالث: أن الحس و الحركة الإرادية إنما يحصلان بالحرارة أما البرودة فعايقة عنهما ، والعقل منبع الحرارة و الدماغ للبرودة فجعل القلب مبدأ للحس و الحركة الإرادية أولى من جعل الدماغ مبدأ لهما.(عبد القادر،أ،1989:137).

–الدليل الرابع: أن كل أحد إذا قال أنا ، فإنه بالطبع يشير غلى صدره و ناحية قلبه، وأيضا إذا قال رجل عاقل أنا فعلت كذا أو قلت كذا، فإنه بالطبع يضع يده على ناحية قلبه وهذا دليل على أن كل أحد يعلم بالضرورة أن المشار إليه بقوله أنا موجود في القلب لا في الدماغ.

–الدليل الخامس: أثار النفس الناطقة للنطق ، وجب أن يكون مصدرها بطبيعة الحال هو الموضع الذي تنبعث و

تصدر منه وهو النطق،لكن النطق و الكلام ينبعثان من القلب لأن الصوت يتولد من إدخاله و إخراج النفس التي هي من عمل و فعل القلب، وذلك أن المقصود من إدخال النفس ترويح حرارة القلب و المقصود من إخراجه دفع الفضلة المحترقة ، ومن ثمة إذا كان إدخال النفس و إخراجه مقصود للقلب بالذات كان إسناد هذا الفعل للقلب أولى واسبق من إسناده

إلى الدماغ الذي لا حاجة به إليه، فثبت أن فاعل الصوت هو القلب.(عبد القادر،أ،1989:139)

–الدليل السادس: أن القلب موضوع في موضع يقرب أن يكون وسط البدن، والعضو الرئيسي يليق به ذلك حتى يكون ما ينبعث منه من القوى يصل إلى جميع أطراف البدن على القسمة العادلة و الدماغ في أعلا البدن، وذلك ينافي المقصود.

–الدليلالسابع :أن الناس يصفون القلب بالذكاء، فيقولون قلب ذكي و قلب بليد.

وفي هذا الصدد ، يمكن القول أن الأمير عبد القادر بعد أن بين أدلة أرسطاليس بأن القلب هو العضو الرئيسي الوحيد و المنبع الأول للنفس، ينتقل إلى إيضاح رأي جالينيوس و أدلته التي تفند هذا الرأي و تنقده ، متطرق إلى رفض هذا العضو بالذات و القول بأهمية الدماغ قائلا:« الناس إذا وصفوا إنسانا بأن له قلبا قويا فمرادهم منه الشجاعة، وإذا قالوا فلان لا قلب له فالمراد منه الجبن، و الجواب أن هذا يدل على أن القلب موضع الغضب وهذا لا ينافي أن يكون القلب موضع العلم و الفهم»(عبد القادر،أ،1989:140)، ولكن موضع الإدراك في رأيه هو الدماغ وهذا بوجوه أي الإستناد على أدلة و مقدمات منها.

–الدليل الأول: هو أن الدماغ منبت العصب و العصب آلة الإدراك وما كان منبت لآلة الإدراك وجب أن يكون معدنا لقوة الإدراك، ولإيضاح ذلك نجدها تتجلى في ثلاث مقدمات:

*المقدمة الأولى: الدماغ منبت العصب ودليل ذلك أن الأعصاب الكثيرة موجودة في الدماغ، أما القلب فلا توجد فيه سوى عصبة صغيرة و بالتالي الدماغ منبتا للأعصاب.

*المقدمة الثانية: أن الأعصاب آلة الحس و الحركة ودليل ذلك أنك إذا كشفت عن عصبة و شددتها و حدث ما كان أسفل من موضع الشد يبطل عند الحس و الحركة و ماكان أعلا مما يلي جانب الدماغ لا يبطل عنه قوة الحس و الحركة، وهذا يدل على أن آلة الحس و الحركة هو العصب.

*أما المقدمة الثالثة: وهي انه لما كان الدماغ منبتا لآلة الحس و الحركة وجب أن يكون معدنا لهما، فالدليل عليه أنه إذا كان قوة الحس و الحركة إنما يصلان من الدماغ إلى أطراف البدن بواسطة هذه الأعصاب النابتة من الدماغ ، مما يثبت أن المعدن و المنبع لهذه القوة هو الدماغ.

وهنا يعرض الأمير إلى رأي و إجابة أصحاب أرسطاليس عن هذه الحجة مؤكدين أنهم قالوا لا نسلم أن الدماغ منبت العصب ، أما ردة فعل جالينيوس على ذلك هو أن الأعصاب كثيرة ، قوية عند الدماغ و قليلة صغيرة عند القلب، وذلك لسببين أو وجهين:

*الوجه الأول : أن هذه المقدمة الواحدة غير منتجة للمقصود، ذلك انه لابد من ضم مقدمة أخرى إليها وهي أن القوة و الكثرة إنما تكون عند المبدأ، إلا أن هذه المقدمة غير برهانية بل هي منقوضة من عدة وجوه ، يوضحها لنا الأمير في أنها:

–أولا:أن العصبة المجوفة تكون رقيقة عند المنبت فإذا دخلت الموضع الذي تتكون الحدقة فيه تغلظ تلك العصبة و تتسع، وهذا نقد لهذه المقدمة.

–ثانيا:أن الحبة التي يتولد منها ساق الشجر نكون أصغر بكثير من ساق الشجرة، فلم لا يجوز أن تكون العصبة الصغيرة التي في القلب كالحبة تتشعب منها الأعصاب الكثيرة في الدماغ.

–ثالثا:لو صح دليل جالينيوس لوجب أن يقال أن مبدأ العروق الضوارب هي النشيجة الشبيهة بالشبكة التي في الدماغ لا الدماغ، لأن في تلك النشيجة من العروق الضوارب عدد لا يحصى وهو في غاية المشابهة لعروق الشجرة.

*أما الوجه الثاني من الجواب ، أنه إذا سلمنا أن القوة و الكثرة لا تحصل إلا عند المبدأ لكن لا نزاع في أن القلب منبت الشرايين وهي من جنس أجرام الأعصاب، فلا يمكن أن تنبت الأعصاب إلا منها ، ولكن إذا قلنا أن العروق من جنس الأعصاب وذلك لأن أجرام العروق تنقسم إلى شظايا لينة لا حس لها فهي لدنة ، عديمة الدم صلبة غير حساسة في نفسها ، ودليل ذلك أنك إذا شددت العصبة برباط قوي شدا وصار ما هو أسفل من موضع الشد عديم الحس ، وذلك يدل و يوضح أن العصب غير حساس في نفسه و إنما يستمد الحس من موضع آخر.(عبد القادر،أ،1989:141).

وفي هذا الصدد يتطرق الأمير هنا إلى رد أصحاب ارسطاليس قائلين: بأن الجواب الأول ضعيف لأن الصفات المذكورة للشرايين هي باقية قبل نفوذها في جوهر الدماغ ، ودليل ذلك أن الروح الدماغي لاشك انه متولد في القلب ، وبقي في النشيجة المتولدة تحت الدماغ مدة، ثم انه نفذ في الدماغ فحدث له حال كونه في الدماغ أحوال و صفات ما كنت حاصلة له حين كان فيالقلب، فلم لا يجوز أن يكون الحال في الشرايين كذلك.

وأما جوابه الثاني فهوأيضا ضعيف لان الروح القلبي لما صعد إلى الرأس في الشرايين الصغيرة نزل أيضا إلى أسفل البدن في الشرايين الصغيرة، ثم أن الجزء الصاعد إلى الرأس تغير عن حالته بسبب اختلاطه فجرم الدماغ و الجزء النازل إلى أسفل لم يتغير عن حالته البتة، فلم لا يجوز أن يكون الحال في أجرام الشرايين كذلك.(عبد القادر،أ،1989:143)

ويؤكد الأمير في هذا الشأن أن هذا الكلام مجرد إتمام على حجة جالينيوس على أن الدماغ منبت العصب ، معارضين في ذلك أصحاب أرسطاليس أن منبت العصب هو القلب قائلين:«أن حركة الإرادية لابد أن تكون بآلة صلبة و قوية، والدماغ فيه شيء من الصلابة و القوة، أما القلب ففيه أنواع من الصلابة منها أن لحمه قوي و أصلب من سائر اللحوم، كما يوجد فيه مقدارا كثيرا من الرباطات العصبية، ومنها أنه بسبب كثرة حركته لابد أن

يكون هو الأقوى جرما ، و عليه فإن جعل القلب هو منبت الأعصاب التي تعتبر آلات للحركة القوية.

وفي هذا السياق يشير الأمير غلى رد جالينيوس على هذا الكلام بوجهين:

الأول: أن كلامه بني على مقدمة قياسية ، والحس دل على أن المنبت هو الدماغ و القياس المعارض بالجسم لا يلتفت إليه.

الثاني:أن المتولي لعناية التحريك الأعضاء هو العصب ليس العضل لأن هذه الأخيرة نجدها مركبة من الأعصاب و الرباطات و الأغشية و هي مستندة إلى الأعضاء الصلبة ، و الأعصاب يقودها الحس و القوة على الحركة ، إذن الدماغ منبتا للأعصاب.

وكتتمة لما سبق يعرض الأمير هنا إجابة أصحاب أرسطاليس فعن الأولى :يرى بأن الحس لم يدل إلا على كثرة الأعصاب و قوتها عند الدماغ و أن هذا لا يدل إلا على كون الدماغ منبت الأعصاب.

أما الثاني فضعيف أيضا لأن جالينيوس استدل بغلطة العصب و كثرته على تولده منه وهذا ما عارضه أصحاب ارسطاليس قائلين:« أن هذا الوجه يدل أن العصب أصله نابت من القلب، ومن هنا سقط كلام جالينيوس بالكلية».(عبد القادر،أ،1989:145).

وفي هذا الشأن يؤكد الأمير كذلك أن النوع الثاني للجواب على شبهة جالينيوس ، أنه إذا سلمنا أن الدماغ منبت العصب الذي هو آلة للحس و الحركة، فلم قلتم أنه يلزم من هذا كون الدماغ معدنا لقوة الحس و الحركة ببيانه أنه لا يبعد أن تكون قوة الحس و الحركة متولدة من القلب ، إلا أن الدماغ يرسل إلى القلب آلة ثانية منه ليستفيد بتلك الآلة ، قوة الحس و الحركة من القلب و إذا كان هذا الإحتمال قائما سقط كلام جالينيوس بالكلية.

أما بخصوص الحجة الثالثة لجالينيوس يوضحها الأمير عبد القادر على أن معدن القوة المحركة ليس هو القلب، وهذا أحسن دلائله أنه لو كان قوة الحس و الحركة الإرادية تنفذ من القلب إلى الدماغ لكان إذا شددنا العصب بخيط شدا قويا و جب أن يبقى الحس و الحركة في الجانب الذي يلي القلب، و إن يبطل من الجانب الذي يلي الرأس لكن الأمر بالصر، فعلمنا أن قوة الحس و الحركة تجري من الدماغ غلى القلب و لا تجري من القلب إلى الدماغ.

وفي هذا السياق يضيف الأمير عبد القادر بخصوص حجة جالينيوس على أن الحكماء اتفقوا على أن الحامل لقوة الحس و الحركة جسم لطيف نافذ في الأعضاء وهو الروح ، و إذا كان كذلك فإن الدماغ بكونه مبدأ لهذه الأرواح أولى من القلب ، وذلك أنه توجد في الدماغ مواضع خالية مما تصلح أن تتولد فيها تلك الأرواح، أما القلب فليس كذلك لأن التجويف الأيمن مملوء بالدم ، أما الشبهة في التجويف الأيسر فإنه يعتقد أنه مملوء بالروح.(عبد القادر،أ،1989:146)

ويضيف جالينيوس قائلا في الحجة الرابعة في نظر الأمير عبد القادر، على أن العقل اشرف القوى فوجب أن

يكون مكانه أشرف الأمكنة و أعلاها ، ومكانه الأصلي هو الدماغ وهو بمنزلة الملك العظيم الذي سكن القصر الأعلى ، أما الحواس المحيطة بالرأس كأنها خدم الدماغ ، و أيضا محل الرأس من البدن محل السماء من العالم ، فكما أن السماء منزل الروحانيات ، فكذلك الدماغ وجب أن يكون منزل العقل الذي هو روحاني هذا البدن. (عبد القادر،أ،1989:148).

وعلى هذا الأساس فإن الأمير عبد القادر نلاحظ أنه كان على ثقافة واسعة للفلسفة اليونانية ، وقد أشار إليها في كثير من مواضعه خصوصا عندما تطرق إلى رأي و أقوال فلاسفتها ، من بينها تأكيده على أهمية العقل في قوله :« لولا العقل لكان معتقدا صحة ما أدركه حسه مخطئا خطأ فاحشا و لهذا قال أفلاطون و أرسطو و بطليموس و جالينيوسالحسيات غير يقينية ، بمعنى أن جزم العقل بالحسيات ليس بمجرد الحس ، بل لابد مع الإحساس من أمر تنظم إلى الحس ، لا نعلم ما هي وحينئذ يجزم العقل بما جزم به من المحسوسات.(طالبي، ع،2005:42).

ويشير كذلك الأمير قائلا في كيفية نشر العلوم و تحصيله إلى دور حكماء اليونان مؤكدا ذلك أن علوم الأوائل و الفلاسفة فإنها كانت في صدر الإسلام مهجورة إلى دولة بني العباس، وكان أول من اعتنى منهم بالعلوم أبو جعفر المنصور،وكان مقدما في علم الفلسفة والنجوم ، ثم لما وصلت الخلافة إلى المأمون بن الرشيد استخرج العلم من معدنه ، بعلومه فراسل ملوك الروم وسألهم عن كتب الفلاسفة ، فبعثوا إليه من كتب أفلاطون و أرسطو و بقراط و جالينيوس و إقليدس و بطليموس وغيرهم.ومن هنا أمكن القول أنه من شدة شغف الأمير للقراءات اليونانية ذكر عدة مرات الفلاسفة القدماء ، وهذا ما لحظناه كأفلاطون و جالينيوس و أرسطو و الذي وصفه أنه «كبير حكماء الخليقة».(طالبي، ع،2005:100).

و كخاتمة لدراستنا يمكن القول أن الأمير عبد القادر يعد من بين الشخصيات المتميزة التي لمعت في المغرب العربي و الإسلامي على وجه الخصوص، والتي كتب لها التاريخ بحروف من ذهب وهذا راجع طبعا إلى بيئته التعليمية و التثقيفية، التي كان لها الفضل الكبير في مطالعته لكتب الأوائل من العلم و الأدب و الفلسفة خصوصا الفلسفة اليونانية ، التي قرأ من خلالها لأعمال أفلاطون و جالينيوس و غيرهم من الكتب التي استهوته.

قائمة المصادر و المراجع:

– الأمير عبد القادر ذكرى العاقل و تنبيه الغافل–تحقيق عمار طالبي –دار القصبة للنشر–بدط–2005.

–الأمير عبد القادر الجزائري–المقراض الحاد لقطع لسان منتقص دين الإسلام بالباطل و الإلحاد–الطاسيلي للنشر و التوزيع–ط1989–1.

– أباظة نزار– الأمير عبد القادر العالم المجاهد–دار الفكر–ط1994–1.

–مونيسبخضرة،تاريخ الوعي مقاربات فلسفية حول جدلية ارتقاء الوعي بالواقع ،منشورات الإختلاف،ط2009،1.

– محمد أبو ريان–تاريخ الفكر الفلسفي من طاليس إلى أفلاطون–دار المعرفة الجامعية–بدط–1999.
– مصطفى النشار–المصادر الشرقية للفلسفة اليونانية–دار القباء–ط1997–1.
– موسوعة عباس محمودالعقاد – توحيد وأنبياء–المجلد الأول–دار الكتاب العربي–ط1970–1.
– ول ديورانت–قصة الفلسفة–ترجمة فتح اللّه محمد المشعش –منشورات مكتبة المعارف–ط1988–6.
– يحي هويدي–قصة الفلسفة الغربية–دار الثقافة للنشر و التوزيع–بدط–1996.
– حياة بن سعيد باخضر–النفس عند فلاسفة الإغريق عرض و نقد–مجلة أم القرى لعلوم الشريعة و الدراسات الإسلامية–العدد46–1998.
– حامد إبراهيم–نظرية النفس بين أرسطو وابن سينا–مجلة جامعة دمشق–المجلد19–العدد2–سنة2003.
كامل حمود–تاريخ الفلسفة العربية–دار الفكر اللبناني–ط1990–1.